الفوائد
في شرح
الأربع القواعد

للشيخ الدكتور
محمد بن أحمد الخضي

أعدها
سعود عبدهـ رديش دغريري

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد الأمين ، المبعوث رحمة للناس أجمعين ، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين ، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ؛ أما بعد :

فهذا شرح "القواعد الأربع" للإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى ، لفضيلة شيخي الدكتور محمد بن أحمد خضي حفظه الله تعالى ، وكان الشرح في درسين مستقلَّين ، في شهر محرم ، من عام ١٤٣٤ هـ ، وها أنا ذا أخرجها لعل الله أن ينفعنا بها ؛ وما توفيقي إلا بالله ، عليه توكلت وإليه أنيب .

كتبه /

أبو عبد الرحمن

سعود عبده رديش دغريري

عفا الله عنه وعن جميع المسلمين

عشية الخميس

٩ – ٢ – ١٤٣٥هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وبارك وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وبعد :
فقد أذنت للأخ الشيخ الدكتور / سعود بن عبده رديش دغريري بكتابة كل ما تحصَّل عليه من تسجيلات من دروسي العلمية ومحاضراتي وخطبي ، وأسأل الله تعالى لنا وله التوفيق والسداد .
وصلى الله وبارك وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

كتبه /
د. محمد بن أحمد يحيى خضي
(التوقيع)
١٤٣٥/٢/٨ هـــــ

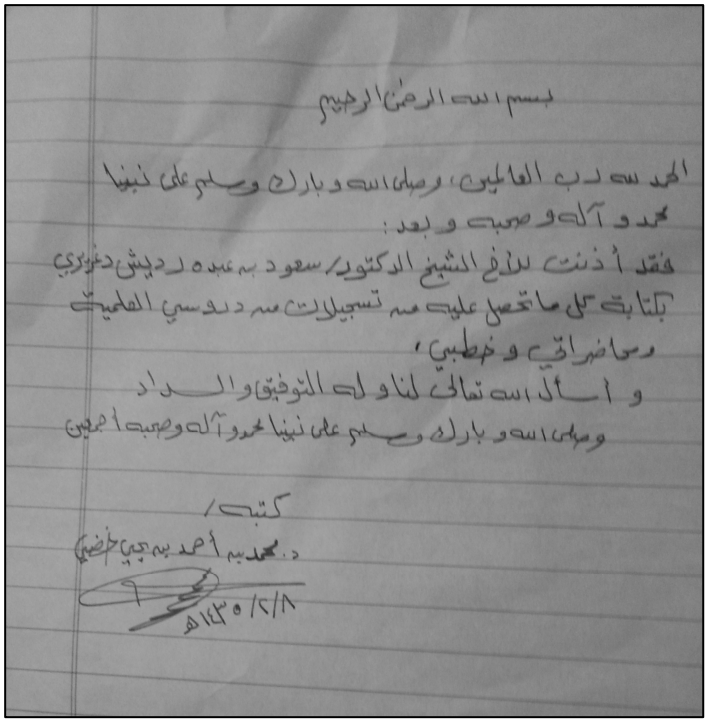

بسم الله الرحمن الرحيم[١]

أسأل الله الكريم[٢] ، ربَّ العرش العظيم[٣] ، أن يتولاك في الدنيا والآخرة[٤] ، وأن يجعلك مباركاً أينما كنت[٥]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ؛ أما بعد :

[١] قوله "بسم الله الرحمن الرحيم" : بدأ المؤلف رحمه الله بالبسملة اقتداء بكتاب الله جل وعلا ، والبسملة هي آية من سورة الفاتحة وآية من سورة النمل .

[٢] قوله "أسأل الله الكريم" : بدأ المؤلف رحمه الله بالدعاء ، فسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى ، قال جل وعلا [وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا] ، فمن أسماء الله جل وعلا "الكريم" ، فسأل الله بكرمه وفضله .

[٣] قوله "ربَّ العرش العظيم" : هذا فيه اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم ، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم في دعائه يُثني على الله ويَنْسِب إليه جل وعلا أشرف مخلوقاته ، مثل قوله صلى الله عليه وسلم [اللهم رب جبرائيل وإسرافيل وميكائيل][(١)] ، فهكذا قول الشيخ رحمه الله "رب العرش" ، فالعرش من أشرف مخلوقات الله ومن أعظمها ، وهكذا ينبغي للعبد إذا دعا الله عز وجل أن يتوسل إليه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى وأن ينسب إليه أشرف مخلوقاته اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم .

[٤] قوله "أن يتولاك في الدنيا والآخرة" : أَخَذ المؤلف رحمه الله هذا من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم [وتولني فيمن توليت][(٢)] ، فمن تولاه الله حُفظ في الدنيا وفاز في الدار الآخرة .

[٥] قوله "وأن يجعلك مباركاً أينما كنت" : فبهذا الدعاء قال تعالى عن عيسى عليه الصلاة والسلام [قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا] .

---

(١) الحديث أخرجه مسلم في الصحيح برقم ١٢٨٩ ، بسنده عن عائشة رضي الله عنها [أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا قام من الليل افتتح صلاته "اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل ، فاطر السماوات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، اهدني لما اختُلف فيه من الحق بإذنك ، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم"] ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، "باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه" .

(٢) الحديث أخرجه الترمذي برقم ٤٢٦ ، عن الحسن بن علي رضي الله عنهما ، باب ما جاء في القنوت في الوتر ، وقال الترمذي "هذا حديث حسن لا نعرفه إلا من هذا الوجه" .

.....

فإن قال قائل : بماذا يكون العبد مباركاً ؟

فالجواب : يكون العبد مباركاً بأمرين عظيمين :

أولاً : بالعلم النافع .

ثانياً : بالعمل الصالح .

وبهذين الأمرين أرسل الله رسوله صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى [هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ] فالهدى هو العلم النافع ، ودين الحق هو العمل الصالح ؛ فمن جمعهما فهو مبارك أينما حلَّ .

وأن يجعلك ممن إذا أُعطي شكر ، وإذا ابتُلي صبر ، وإذا أذنب استغفر[١] ؛ فإن هؤلاء الثلاث عنوان السعادة[٢] .

---

[١] قوله "وأن يجعلك ممن إذا أُعطي شكر ، وإذا ابتُلي صبر ، وإذا أذنب استغفر" : هذا هو أمر المؤمن ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم [عجباً لأمر المؤمن ، إن أمره كله خير ، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سرَّاء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضرَّاء صبر فكان خيراً له][(١)] .

وقوله "وإذا أذنب استغفر" : هذه من صفات أهل الإيمان ، قال تعالى [وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ] وقال تعالى [إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ] .

[٢] قوله "فإن هؤلاء الثلاث عنوان السعادة" : السعادة هي الحياة الطيبة التي وَعَدَ الله بها أهل الإيمان ، قال تعالى [مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً] ، فالحياة الطيبة لمن رُزق هذه الثلاث "إذا أُعطي شكر ، وإذا ابتُلي صبر ، وإذا أذنب استغفر" .

وقد بدأ الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله رسالته بهذا الدعاء من باب الحكمة في الدعوة إلى الله جل وعلا وترغيب المستمع والقارئ فيما سيذكره الشيخ من العلم النافع ، ثم زاد رحمه الله في الدعاء – كما سيأتي – فقال "اعلم أرشدك الله لطاعته"[(٢)] .

---

(١) الحديث أخرجه مسلم في الصحيح برقم ٥٣١٨ ، "باب المؤمن أمره كله خير" ، عن صهيب رضي الله عنه .

(٢) فالمؤلف رحمه الله هو إمام في العلم والدعوة ، وشفقته على الطالب والقارئ ظاهرة ، فكثيراً ما يدعو في مؤلَّفاته بالرحمة والهداية لمن يقرأها ، حيث يقول في بداية كتابه الأصول الثلاثة "اعلم رحمك الله" ، قال شيخنا الشارح حفظه الله تعالى في شرحه على الأصول الثلاثة هناك ((بدأ المؤلف رحمه الله بأسلوب جيد ، حيث دعا للقارئ ولطالب العلم بالرحمة من الله تعالى ، وهذا من الأسلوب الحَسَنِ في الدعوة إلى الله جل وعلا ، بأنْ تخاطب المدعوَّ بخطاب يجذبه إلى تعلم العلم النافع ، وهذا الأسلوب فيه الرحمة والشفقة واللين ، وهكذا هو الأسلوب في كتاب الله وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وهذا هو الذي بعث به الله الرسل ، يقول الله جلا وعلا في الأسلوب الدعوي [ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ] وقال تعالى [لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ] وقال تعالى [فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ] ، وهكذا قال النبي صلى الله عليه وسلم [نضَّر اللهُ امرأً سمع مقالتي فوعاها] فدعا صلى الله عليه وسلم بالنضرة لمن يسمع مقالته عليه الصلاة والسلام .

وهذا هو الواجب على الداعية إلى الله أن يسلكه في دعوته ، لأن فيه تحبيباً للمدعوِّين ، وعليه الابتعاد عن القسوة ، لأن مقصود الداعي من دعوته وهدفه بذلك هو أن يقبل الناس الحق الذي معه وأن يصلح أحوال الناس ؛ ومن أهم الطرق التي يقبل الناس بها الحق الدعاء لهم بالتوفيق والرحمة ، كما بدأ بذلك الشيخ فقال "اعلم رحمك الله ")) انتهى .

اعلم أرشدك الله لطاعته أن الحنيفية ملة إبراهيم أن تعبد الله وحده مخلصاً له الدين[١] .

---

[١] قوله "اعلم أرشدك الله لطاعته أن الحنيفية ملة إبراهيم أن تعبد الله وحده مخلصاً له الدين" :
هنا يبيِّن الشيخ رحمه الله أن الرُّشد بيد الله يمنحه من يشاء ، قال تعالى [وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ] فمن رُزق الرُّشد فقد رُزق خيراً كثيراً .
والرشد هو ضد السَّفَه ، قال تعالى [وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ] وقبلها قال [وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا * وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا] فتبيَّن أن الرشد ضد السفه .
والرشد فيه العقل والحكمة وحُسن التصرف ، ويَمُنُّ الله عز وجل بالرشد في أمور الدين على أوليائه من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وأما الرشد وحسن التصرف في أمور الدنيا فقط دون أمور الدين فذاك يعطيه الله من يحب ومن لا يحب ، وقد قال الله عز وجل في هؤلاء [وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ] فنفى الله عنهم العلم الحقيقي الذي هو العلم النافع ، وهو العلم بالله وأوامره الدينية وبوعده ووعيده ، وأثبتَ لهم علماً لا ينفعهم عند الله ماداموا فاقِدِين للعلم النافع الحقيقي ، فقال [وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ] فنفى عنهم العلم الحقيقي ، ثم قال [يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ] فأثبت لهم علم الحياة الدنيا .

والكفار يعلمون ويبرَعون في أمور الدنيا مع كفرهم ، ومصداق هذا قوله تعالى في سورة هود [مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ] وقال في سورة الإسراء [مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا] .

وقوله "اعلم أرشدك الله لطاعته" : طاعة الله هي امتثال أمره واجتناب نهيه ، وتكون طاعةً لله جل وعلا بالإخلاص له والاقتداء بنبيه صلى الله عليه وسلم .

وقوله "أن الحنيفية ملة إبراهيم أن تعبد الله وحده مخلصاً له الدين" : فالحنيفية ملة إبراهيم هي الإسلام ، قال تعالى [مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ] .

كما قال تعالى [وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ][١] ، فإذا عرفت أن الله خلقك لعبادته[٢] فاعلم أن العبادة لا تُسمى عبادة إلا مع التوحيد[٣]

وقوله "أن الحنيفية ملة إبراهيم أن تعبد الله وحده مخلصاً له الدين" : فالحنيفية هي عبادة الله وحده لا شريك له ، وهي التي بُعث بها النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال صلى الله عليه وسلم [بُعثتُ بالحنيفية السَّمْحة](١) .

وهذا هو دين أولي العزم من الرسل عليهم الصلاة والسلام ، قال تعالى [شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ] ، وهي دين جميع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ، قال تعالى [وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ] .

[١] قوله "كما قال تعالى [وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ]" : قال تعالى [قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي] فهكذا قال النبي صلى الله عليه وسلم ، وهذا هو الدين الحق الذي أمر الله به الجن والإنس وخلقهم لأجله ، قال تعالى [وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ * إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ] .

[٢] قوله "فإذا عرفت أن الله خلقك لعبادته" : يعرف العبدُ أن الله خلقه لعبادته بطرق :

الطريق الأول : بفطرته التي فطره الله عز وجل عليها ، وهي الإسلام ، فإن الله فطر الناس على الإسلام ، قال تعالى [فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا] وهي الإسلام ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم [كل مولود يولد على الفطرة](٢) أي على الإسلام .

الطريق الثاني : ويعرف ذلك عن طريق الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام الذين بعثهم الله معرِّفين بربهم .

[٣] قوله "فاعلم أن العبادة لا تُسمى عبادة إلا مع التوحيد" : هنا يبيِّن الشيخ رحمه الله الأصل العظيم الذي لا تُقبل العبادة إلا به ، وهو توحيد الله جل وعلا وعبادته وحده لا شريك له ، قال جل وعلا [وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا] فلا يُسمَّى العمل صالحاً إلا بالإيمان بالله جل وعلا ، فالتوحيد شرطٌ في قبول الأعمال ، قال جل وعلا [وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ] وقال تعالى [وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ] .

---

(١) الحديث أخرجه أحمد في المسند برقم ٢١٢٦٠ ، عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه ، وضعفه الألباني .

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح برقم ١٢٧٠ ، وأخرجه مسلم في الصحيح برقم ٤٨٠٣ ، كلاهما عن أبي هريرة رضي الله عنه .

كما أن الصلاة لا تسمى صلاة إلا مع الطهارة[١] ، فإذا دخل الشرك في العبادة فَسَدَت ، كالحدَث إذا دخل في الطهارة[٢] ، فإذا عرفت أن الشرك إذا خالط العبادة أفسدها وأحبط العمل وصار صاحبه من الخالدين في النار عرفتَ أن أهمَّ ما عليك معرفةُ ذلك ، لعل الله أن يخلِّصك من هذه الشبكة ، وهي الشرك بالله ، الذي قال الله تعالى فيه [إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ] ، وذلك بمعرفة أربع قواعد ذكرها الله تعالى في كتابه[٣] .

---

[١] قوله "كما أن الصلاة لا تسمى صلاة إلا مع الطهارة" : فكما أن الصلاة لا تُقبل إلا بالطهارة فكذلك الأعمال لا تُقبل إلا بالتوحيد ، وهنا يشير الشيخ رحمه الله إلى قوله صلى الله عليه وسلم [لا صلاة إلا بطهور](١) .

[٢] قوله "فإذا دخل الشرك في العبادة فَسَدَت ، كالحدَث إذا دخل في الطهارة" : الشرك ينقسم إلى قسمين :

القسم الأول : شرك أكبر ؛ وهو أن يتخذ العبد مع الله نِدًّا ، وهذا النوع يُفسد جميع العبادات ، فلا تُقبل معه عبادة .

القسم الثاني : شرك أصغر ؛ وهو يُفسد العبادة التي يصاحبها ، قال جل وعلا في الحديث القُدسي [أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه](٢) .

وقوله "كالحدَث إذا دخل في الطهارة" : الحدَث ينقسم إلى قسمين ؛ حدثٌ أكبر وحدثٌ أصغر ، والحدث الأكبر أغلظ من الحدث الأصغر ، وكلاهما يُفسد الطهارة .

[٣] قوله "فإذا عرفت أن الشرك إذا خالط العبادة أفسدها وأحبط العمل وصار صاحبه من الخالدين في النار عرفتَ أن أهمَّ ما عليك معرفةُ ذلك ، لعل الله أن يخلِّصك من هذه الشبكة ، وهي الشرك بالله ، الذي قال الله تعالى فيه [إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ] ، وذلك بمعرفة أربع قواعد ذكرها الله تعالى في كتابه" : مقصود الشيخ رحمه الله بقوله "وصار صاحبه من الخالدين في النار" أي إن مات على الشرك الأكبر من دون توبة ، قال تعالى [إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ] .

وقوله "عرفتَ أن أهمَّ ما عليك معرفةُ ذلك" : أي عرفتَ أن أهم ما عليك هو معرفة التوحيد .

---

(١) كما أخرج مسلم في الصحيح برقم ٣٢٩ ، بسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال [لا تُقبل صلاة بغير طهور ، ولا صدقة من غلول] .

(٢) الحديث أخرجه مسلم في الصحيح برقم ٥٣٠٠ ، "باب من أشرك في عمله غير الله" ، عن أبي هريرة رضي الله عنه .

القاعدة الأولى : أن تَعْلَم أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مقرُّون بأن الله تعالى هو الخالق المدبر ، وأن ذلك لم يُدخلهم في الإسلام ، والدليل قوله تعالى [قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ][١] .

---

[١] قوله "القاعدة الأولى : أن تَعْلَم أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مقرُّون بأن الله تعالى هو الخالق المدبر ، وأن ذلك لم يُدخلهم في الإسلام ، والدليل قوله تعالى [قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ]" : هذه القاعدة التي ذكرها الشيخ رحمه الله تبيِّن أن من أقرَّ بتوحيد الربوبية وأشرك في توحيد الألوهية فهو غير مسلم ، لأن الله عز وجل قد أخبر عن كفار قريش أنهم مقرون بالربوبية ولكنهم أشركوا مع الله غيره ، كما قال جل وعلا عنهم [مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى] .

فلا يدخل العبدُ في الإسلام إلا بإخلاص العبادة لله تعالى وحده لا شريك له ، كما قال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم [قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي] .

وفي القرآن الكريم استدل الله جل وعلا على الناس بربوبيته على ألوهيته ووحدانيته ، فقال جل وعلا في سورة البقرة [يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ] ، وكذا في الآية التي أوردها الشيخ رحمه الله من سورة يونس [قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ] فاستدل الله عليهم بما يقرون به من ربوبيته على ألوهيته ووحدانيته .

فتبيَّن بذلك أن من أقر بالربوبية و لم يُخلص في الألوهية فليس بمسلم ، والنبي صلى الله عليه وسلم قد قاتل الكفار والمشركين وجاهدَهم لأجل أن يوحدوا الله ويعبدوه وحده لا شريك له ، قال صلى الله عليه وسلم [أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها ، وحسابهم على الله][٢] ،

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في الصحيح برقم ٢٤ ، "باب [فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ]" ، وأخرجه مسلم في الصحيح برقم ٣٣ ، "باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله" ؛ كلاهما عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما .

وقال صلى الله عليه وسلم [من قال لا إله إلا الله فقد عصم ماله ودمه وعِرضه ، وحسابه على الله][(١)] ، وقال الله جل وعلا لنبيه صلى الله عليه وسلم ولأتباعه المسلمين [قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ] وقال جل وعلا [وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ] ؛ إلى غير ذلك من الآيات والأدلة على هذا الأمر العظيم .

وبعض الطوائف من أهل الكلام وأهل التصوُّف اعتقدوا أن التوحيد المطلوب هو توحيد الربوبية ، وخالفوا بذلك دعوة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام[(٢)] .

---

(١) أخرج مسلم في الصحيح برقم ٣٤ ، عن أبي مالك الأشجعي عن أبيه أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول [من قال لا إله إلا الله وكَفَر بما يُعبد من دون الله حَرُم ماله ودمه ، وحسابه على الله] ، كتاب الإيمان ، "باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله" ؛ وأخرج مسلم في الصحيح برقم ٣٠ ، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال [أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فمن قال لا إله إلا الله عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه ، وحسابه على الله] ، كتاب الإيمان ، "باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله" .

(٢) وشارح الطحاوية في معرض تقريره بأن توحيد الألوهية هو التوحيد الذي دَعَت إليه الرسل ونزلت به الكتب لا كما يقوله أهل الكلام بأنه توحيد الربوبية ، حيث قال عن توحيد الربوبية ((وهذا التوحيد حق لا ريب فيه ، وهو الغاية عند كثير من أهل النظر والكلام وطائفة من الصوفية ، وهذا التوحيد لم يذهب إلى نقيضه طائفة معروفة من بني آدم ، بل القلوب مفطورة على الإقرار به أعظم من كونها مفطورة على الإقرار بغيره من الموجودات ، كما قالت الرسل فيما حكى الله عنهم [قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ])) انتهى .

القاعدة الثانية : أنهم يقولون ما دعوناهم وتوجهنا إليهم إلا لطلب القُربة والشفاعة ؛ فدليل القُربة قوله تعالى [وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ] ، ودليل الشفاعة قوله تعالى [وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّه][١] .

---

[١] قوله "القاعدة الثانية : أنهم يقولون ما دعوناهم وتوجهنا إليهم إلا لطلب القُربة والشفاعة ؛ فدليل القُربة قوله تعالى [وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ] ، ودليل الشفاعة قوله تعالى [وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّه]" : هذه القاعدة ذكر فيها الشيخ رحمه الله ما يقوله المشركون عن معبوداتهم التي يعبدونها من دون الله ، فهم يقولون ما دعوناهم وتوجَّهنا إليهم إلا لطلب القُربى والشفاعات ، أي القُربى من الله والشفاعة عند الله .

ثم بيَّن الشيخ رحمه الله أن الله عز وجل قد ذَكَرَ قولهم هذا وردَّ عليهم ، وقد قال جل وعلا [أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ] يعني أن تدعو الله وحده لا شريك له ، وأن تعبد الله وحده لا شريك له ، كما قال جل وعلا [قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي] وقال جل وعلا [وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ] .

وقوله "[وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى]" : فذكر جل وعلا مقولة المشركين ، وهذا عام في كل من اتخذ نِداً من دون الله ، والمعنى أنهم اعتقدوا أنهم وسطاء وشفعاء بينهم وبين الله جل وعلا .

وقوله "[إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ]" : فحَكَمَ الله جل وعلا بكذبهم وافترائهم على الله وكفرهم بالله جل وعلا .

وقوله "ودليل الشفاعة قوله تعالى [وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّه]" : فبيَّن الله تعالى في هذه الآية والتي قبلها أن أهل الشرك بمقولتهم تلك في أندادهم قد أشركوا وعبدوا غير الله جل وعلا ، ففي آية يونس بيَّن الله تعالى أن تلك الأنداد لا تضرهم ولا تنفعهم ، وقال جل وعلا [وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ * وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ] .

وقوله "[وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّه]" : أي وُسطاء عند الله .

والشفاعة شفاعتان ؛ شفاعة منفية ، وشفاعة مُثبتة ؛ فالشفاعة المنفية ما كانت تطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله ، والدليل قوله تعالى [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ][١] .

والشفاعة المثبتة هي التي تُطلب من الله[٢] .

---

[١] قوله "والشفاعة شفاعتان ؛ شفاعة منفية ، وشفاعة مُثبتة ؛ فالشفاعة المنفية ما كانت تطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله ، والدليل قوله تعالى [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ]" : فمن طلب من غير الله ما لا يقدر عليه إلا الله عز وحل فقد أشرك مع الله .

وقوله "والدليل قوله تعالى [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ]" : فالله عز وجل في هذه الآية أَمَرَ العبادَ بالنَّفَقة ، وفي مقدمة ذلك النفقات الواجبة التي تتعلق بحقوق الله وحقوق عباده ، فالنفقة الواجبة التي هي حق لله كالزكاة ، ومن النفقات الواجبة التي هي حقٌّ لعباد الله النفقة على النفس والأزواج والوالدين وغير ذلك(١) .

ثم ذكَّر الله عز وجل عبادَه باليوم الآخر ، فقال جل وعلا [مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ] أي لا ينفع فيه بيع ، [وَلا خُلَّةٌ] أي لا تنفع فيه خُلة لغير الله جل وعلا ، [وَلا شَفَاعَةٌ] فلا يشفع أحد عند الله إلا بإذنه ، ولا يُشفَّع إلا فيمن رضي عنهم ، كما قال جل وعلا [وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى] .

وقوله "[وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ]" : المراد بالظلم هنا الظلم الأكبر ، وهو الشرك بالله ، كما قال جل وعلا [إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ] .

[٢] قوله "والشفاعة المثبتة هي التي تُطلب من الله" : أي الشفاعة الشرعية هي الشفاعة التي تكون عند الله جل وعلا بشروطها يوم القيامة .

---

(١) قال الشيخ السعدي رحمه الله تعالى في تفسيره "تيسير الكريم المنان ، صفحة ٢٥٤" ((وهذا من لطف الله بعباده أنْ أَمَرهم بتقديم شيء مما رزقهم الله ، ليكون لهم ذخراً وأجراً موفَّرا في يوم يحتاج فيه العاملون إلى مثقال ذرة من الخير ، فلا بيع فيه ، ولو افتدى الإنسان نفسه بملء الأرض ذهباً ليفتدي به من عذاب يوم القيامة ما تُقبِّل منه ، ولم ينفعه خليل ولا صديق ، لا بوجاهة ولا بشفاعة ، وهو اليوم الذي فيه يخسر المبطلون ، ويحصل الخزي على الظالمين ، وهم الذين وضعوا الشيء في غير موضعه ، فتركوا الواجب من حق الله وحق عباده وتعدَّوا الحلالَ إلى الحرام ، وأعظم أنواع الظلم الكفر بالله ، الذي هو وضع العبادة التي يتعيَّن أن تكون لله فيصرفها الكافر إلى مخلوقٍ مثله)) انتهى .

والشافع مُكرَّم بالشفاعة[١] ، والمشفوع له من رضي الله قولَه وعمله بعد الإذن ، كما قال تعالى [مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ][٢] .

---

[١] قوله "والشافع مُكرَّم بالشفاعة" : أي أن الله عز وجل يُكرِم الشافع عنده بقبول شفاعته والإذن له بالشفاعة ، قال تعالى [مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ] وقال تعالى [وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ] .

والله عز وجل غني عن شفاعة الشافع عنده ، لكنه عز وجل يُكرم الشافع بالإذن له بالشفاعة .

[٢] قوله "والمشفوع له من رضي الله قولَه وعمله بعد الإذن ، كما قال تعالى [مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ]" : وكذا قوله تعالى [وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى] .

* فتلخَّص لنا من هذا أن للشفاعة عند الله جل وعلا يوم القيامة شرطين :

الشرط الأول : إذن الله للشافع أن يشفع .

الشرط الثاني : رضاه جل وعلا عن المشفوع فيه .

القاعدة الثالثة : أن النبي صلى الله عليه وسلم ظَهَر على أُناس متفرقين في عباداتهم ؛ منهم من يعبد الملائكة ، ومنهم من يعبد الأنبياء والصالحين ، ومنهم من يعبد الأشجار والأحجار ، ومنهم من يعبد الشمس والقمر ؛ وقاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يفرِّق بينهم ، والدليل قوله تعالى [وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ][١] .

---

[١] قوله "القاعدة الثالثة : أن النبي صلى الله عليه وسلم ظَهَر على أُناس متفرقين في عباداتهم ؛ منهم من يعبد الملائكة ، ومنهم من يعبد الأنبياء والصالحين ، ومنهم من يعبد الأشجار والأحجار ، ومنهم من يعبد الشمس والقمر ؛ وقاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يفرِّق بينهم ، والدليل قوله تعالى [وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ]" : قوله "ظَهَر على أُناس متفرقين في عباداتهم" مقصود الشيخ رحمه الله بقوله "ظهر" أي بُعثَ ثم نُصِر .

وقوله "أن النبي صلى الله عليه وسلم ظَهَر على أُناس متفرقين في عباداتهم ؛ منهم من يعبد الملائكة ، ومنهم من يعبد الأنبياء والصالحين" : هذا شأن أهل الشرك ، فهم أصحاب فُرقة واختلاف ، قال تعالى [إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ] فكانوا متفرقين في عباداتهم ؛ فمنهم من يعبد الملائكة ومنهم من يعبد الأنبياء والصالحين ؛ والملائكة والأنبياء والصالحون عبَّاد لله جل وعلا ، دعاةٌ إلى توحيد الله وإخلاص العمل له جل وعلا ، ولا يرضون أن يُعبدَ غير الله جل وعلا ، بل هم متنافسون متسابقون في عبادة الله وحده لا شريك له ، كما قال تعالى في سورة الإسراء [قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا * أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا] فبيَّن الله أن الذين يدعونهم من دونه هم أنفسهم يتنافسون في عبادة الله .

وقد بيَّن الله تعالى أن الملائكة والأنبياء والصالحين قد سَبَقَت لهم الحسنى من الله ، وأنهم برءا ممن يعبدونهم من دون الله ، قال تعالى [إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ * لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ * لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ * إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ * لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ][١] .

---

(١) قال شيخنا عند هذه الآية في شرحه على الأصول الثلاثة ((فبيَّن سبحانه أن الذين عَبَدَهم المشركون ينقسمون إلى قسمين :
القسم الأول : قسم رضي بذلك ، فهذا مصيره كمصير المشركين في النار .
القسم الثاني : قسم لم يرضَ بذلك ، وهؤلاء لا يصيبهم ما يصيب أهل الشرك ، لأنهم قد سبقت لهم الحسنى من الله عز وجل)) .

وقوله "ومنهم من يعبد الأشجار والأحجار ، ومنهم من يعبد الشمس والقمر" : فأهل الشرك عبدوا هذه الجمادات ، وهذه الجمادات تَعبُدُ الله وتسبِّحه ، قال الله تعالى في سورة الحج [وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ] وقال تعالى [أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ] .

وذكر الله عز وجل عن هذه الجمادات أنها تكره الشرك وأهله ، قال جل وعلا [وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا * تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا * وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا * إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا * لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا * وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا] وبهذا نعلم أن الأشجار والأحجار والشمس والقمر أعْرَفُ بربها من أهل الشرك والكفر الذين عَبدوا غير الله عز وجل .

وقوله "وقاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يفرِّق بينهم ، والدليل قوله تعالى [وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ]" : فهو صلى الله عليهم وسلم قاتل جميع أهل الشرك ، وقال صلى الله عليه وسلم قولاً عاماً [أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله][1] .

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في الصحيح برقم ٢٤ ، "باب [فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ]" ، وأخرجه مسلم في الصحيح برقم ٣٣ ، "باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله" ؛ كلاهما عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما .

ودليل الشمس والقمر قوله تعالى [وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ] ، ودليل الملائكة قوله تعالى [وَلا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَاباً] ، ودليل الأنبياء قوله تعالى [وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ] ، ودليل الصالحين قوله تعالى [أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَه] ، ودليل الأشجار والأحجار قوله تعالى [أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى][١] .

---

[١] ذكر الشيخ رحمه الله تعالى الأدلةَ التفصيلية من القرآن الكريم على عبادة أولئك المشركين وشركهم بالله جل وعلا :

أولاً : فدليل عبادتهم للشمس والقمر قوله تعالى [وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ] فبيَّن الله تعالى أن من آياته الكونية مخلوقاته ، ومن مخلوقاته الليل والنهار والشمس والقمر ، ثم نهى الله عن عبادتها من دونه فقال [لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ] .

ثانياً : ودليل الملائكة قوله تعالى [وَلا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَاباً] أي أن الله نهى أن تُعبد الملائكة والنبيون من دونه .

ثالثاً : ودليل الأنبياء قوله تعالى [وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ] هنا يردُّ الله عز وجل على عبَّاد المسيح عليه السلام ويبيِّن براءة المسيح عيسى عليه السلام منهم ، وقد بيَّن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لا يُعبد من دون الله ، فلا يُعبد من دون الله لا مَلَكٌ مقرَّب ولا نبي مُرسَلٌ .

رابعاً : ودليل الصالحين قوله تعالى [أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَه] أي أن من عُبدوا من دون الله من الأنبياء والصالحين هم أنفسهم يتنافسون في عبادة الله والتقرُّب إليه عز وجل .

خامساً : ودليل الأشجار والأحجار قوله تعالى [أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى] فبيَّن الله عز وجل أنهم اشتقوا من أسمائه الحسنى أسماء لآلهتهم ، فاشتقوا اللات من الإله ، واشتقوا العُزَّى من العزيز .

وحديث أبي واقد الليثي رضي الله عنه قال [خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى حنين ، ونحن حُدَثاء عهد بكفر ، وللمشركين سِدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم ، يقال لها ذات أنواط ، فمررنا بسدرة ، فقلنا يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط ...][١]الحديث .

---

[١] قوله "وحديث أبي واقد الليثي رضي الله عنه قال [خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى حنين ، ونحن حُدَثاء عهد بكفر ، وللمشركين سِدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم ، يقال لها ذات أنواط ، فمررنا بسدرة ، فقلنا يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط ...]الحديث" : وتمام الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم [قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة][(١)] فبيَّن النبي صلى الله عليه وسلم أن تلك المقولة هي كمقولة بني إسرائيل "اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة" .

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي في السنن برقم ٢١٠٦ ، وقال "هذا حديث حسن صحيح" ، عن أبي واقد الليثي رضي الله عنه .

القاعدة الرابعة : أن مشركي زماننا أغلظ شركاً من الأولين ، لأن الأولين يشركون في الرخاء ويخلصون في الشدة ، ومشركو زماننا شِركهم دائمٌ في الرخاء والشدة ، والدليل قوله تعالى [فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ][١] .

تمت وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

---

[١] قوله "القاعدة الرابعة : أن مشركي زماننا أغلظ شركاً من الأولين ، لأن الأولين يشركون في الرخاء ويخلصون في الشدة ، ومشركو زماننا شِركهم دائمٌ في الرخاء والشدة ، والدليل قوله تعالى [فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ]" : في هذه القاعدة بيَّن الشيخ رحمه الله أن من وَقَعَ في الشرك في زمانه فشركهم لا يختلف عن شرك من سبقهم ، بل هو أغلظ ، لأن الأولين يشركون في الرخاء ويُخلصون في الشدة ، كما قال تعالى [فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ] ، أما المشركون الذين في زمانه فإنهم يشركون في الرخاء والشدة ، فلا يعرفون توحيد الله تعالى لا في شدة ولا في رخاء .

وبهذا ننتهي من متن القواعد الأربع ؛ وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

آخر ما تيسر لي جمعه ؛ والحمد لله رب العالمين

سعود عبده رديش دغريري

عفا الله عنه وعن والديه وعن أهله وذريته

وعن مشايخه وعن جميع المسلمين

٩ – ٣ – ١٤٣٥هـ

فائدة : قال سماحة الشيخ عبدالعزيز آل الشيخ ((فهذه قواعد أربع :

أولاً : أن العرب أقروا بتوحيد الربوبية و لم ينفعهم ذلك .

ثانياً : أنَّ قصدهم الشفاعة .

ثالثاً : تنوعهم في معبوداتهم ، وأن الكل ضلال .

رابعاً : شركُ الأولين في الرخاء وإخلاص في الشدة ، وشرك المتأخرين في الشدة والرخاء .

فهذه القواعد مع الأصول الثلاثة وكشف الشبهات من تأملها حق التأمل وقرأها واعتبر بها رأى حقيقة دعوة الشيخ رحمه الله ، وأن دعوته كانت دعوة صالحة صادقة خالصة لله ، ولهذا جعل الله لها القبول ، وجعل الله لها البقاء ، لأنها منطلقة ومنبثقة من مبدأ سليمٍ ومنهج صالح ؛ فرحمه الله ورحمنا ، ونصره وأيَّده ، وجزى الله الجميعَ خيراً)) انتهى ؛ من دروسٍ صوتية مسجلة على شرح القواعد الأربع ، أقامها لنا الشيخ في صيف عام ١٤٣٢ هـ ، في مدينة الطائف .